محور / ضحايا الانا الاجتماعية

(الاستجابة المقهورة)

د/ حطابي صادق

مفهوم ضحايا الانا الاجتماعية

ويقصد بها ايضا بضحايا الاستجابة المقهورة وهذا النوع من الضحايا يسمى في علم الاجرام بالجرائم دون ضحايا without victim crime الذي يشير الى جرائم الانتحار والإدمان على الكحول والمسكرات والبغاء والإجهاض ،وتدمير الممتلكات العامة ،بأنها جرائم تتضمن الجاني و الفعل الإجرامي ،ولا تتضمن الضحايا .

ويبقى هذا الطرح ذو طبيعة قانونية ،لان الفرد يقوم بقتل نفسه او مخالفة القوانين او التصرف تصرفا شاذا ،مخالفا للطبيعة البشرية ،فيكون هو الجاني و الضحية معا .

فضلا عن ذلك فإننا نرى ان هذا النوع من الجرائم ينطوي على الضحايا ،والا لماذا يعاقب القانون عليها؟ لان اختراق القانون يعد جريمة ،ويتضمن ضحية خضعت لفعل جاني متجني عليها ،تدفع ثمنه على شكل سلوك عدواني صارخ ،ألانه لا يوجه نحو الأخر ،بل نحو ذاتها ونفسها .[1]

المحاضرة /

ضحايا الانتحار

تعريف الانتحار

يطلق كلمة االانتحار على "كل حالة موت تنجم بنحو مباشر او غير مباشر عن فعل ايجابي او سلبي تنفذه الضحية ذاتها ،والتي كانت تعلم بالنتيجة المترتبة على فعلها بالضرورة ،فمحاولة الانتحار هي الفعل المحدد على هذا النحو ،ولكنه المقرر قبل ان يصبح الموت عاقبة له".[2]

الفرق بين القتل و الانتحار

يكمن التشابه بين القتل Homicide و الانتحار من زاوية كونهما يمثلان السلوك العدواني ،إلا انهما يختلفان في اهدافهما ،اذ يكون الاول ممثلا لسلوك عدواني هدفه شخص الجاني نفسه وليس الاخر ،بينما يكون السلوك العدواني للقاتل موجها نحو الاخر وليس لشخصه ،فضلا عن وجود رغبة لدى المنتحر في الخلاص من الحياة قتلا ،بينما تكون رغبة القاتل

---

[1] معن خليل العمر .علم ضحايا الاجرام . 2009،دار الشروق ، الاردن ، ص 251.

[2] اميل دوركايم .الانتحار .2010، ترجمة حسن عودة ،الهيئة العامة السورية للكتاب ،دمشق ، ص 10.

مقصورة على الاستحواذ على ممتلكات او ممتلك يرجع الى الغير **(بعد قيامه بقتل المالك الخاص)وليس الخلاص من الحياة .**[3]

وبشكل اخر ينتج الانتحار عن السلوك العدواني الموجه ضد النفس المتبلور عن الافلاس او الاحباط او الفشل في الارتقاء المهني او الحياتي .

- **و يمكن القول ان المحبط والفاشل يتصرف تصرفا عدوانيا ناتجا عن فشله او احباطه منهيا ذلك بقتل ذاته** ،بينما يصدر فعل القاتل في القتل عن سلوك عدواني ضد الاخر من اجل استحواذ **على ما يملك من مال او ماديات ،بعد** هذه المقارنة بين قاتل و المنتحر .[4]

كيف يمكن اعتبار المنتحر ضحية : **بالاعتماد على نفس التأويل** للجرائم التي يقترفها شخص واحد تجاه نفسه ،وليس تجاه الاخر ،تكون الضحية نفسه وليس الاخر ،وهو تاويل نظرية النفس الاجتماعية لجورج هربرت ميد التي قال فيها بانها تتالف من ثلاثة اقسام **(الانا الاجتماعية ،والذات الفردية ،والعقل)** ،ففي محور الانا الاجتماعية وجدناه يضم احداث والظروف الاجتماعية والنفسية التي يكون لها تاثير مباشر على شخصية الفرد الذي يعيش ضمنها ،وعندما نستعرض حياة المنتحر ،نجد اناه **الاجتماعية متاثرة بمؤثرات تتسم بالفشل او الافلاس او العلاقات الاجتماعية السطحية ،او الوصم** الاجتماعي السلبي ،من خلال الملاحظات **الراصدة للانتحار ،يتضح زيادة عدد المنتحرين** في المدن الحضرية والعواصم اكثر من المناطق الريفية ،وذلك راجع الى كبر حجم المجتمع السكاني الذي يتصف **بتسطح العلاقات الاجتماعية وتكسر العلاقات الاولية (القرابية)** وضعف الروابط الجيرية والعلاقات **الودية والحميمية ،فضلا عن وجود حراك اجتماعي عمودي ،وسيادته على الأفق** وسريع في تحركه ،علاوة على صراعات الاثنية والطائفية والقومية التي تصدر عن التعصبات والتحيزات **وتأكيد الحياة الحضرية** على استقلالية الفرد في اتخاذ القرارات الخاصة والعامة .[5]

والتفرد في العيش اليومي ،وكأنه يعيش في العالم المجهول او يشعر **بالتجاهل** ،هذه اول عامل يؤثر على اناه الاجتماعية ليجعلها غير مطمئنة وقلقة ومتحملة **أعباء حياتية متعددة ومتنوعة ، ذات**

---

[3] نفس المرجع ،ص 259.

[4] معن خليل العمر، مرجع سابق ،ص259.

[5] نفس المرجع ، 259.

مسؤوليات كبيرة الامر الذي يجعلها ،وتارة أخرى غير قادرا على ذلك ،مما يبلور عنده زعزعة ثقته بنفسه وشعوره بالوحدة .

وهل يمكننا القول انه ليس ثمة انتحار الا اذا كان الفعل المفضي الى الموت قد تم تنفيذه بيد الضحية ،بقصد الوصول الى هذه النتيجة ؟ وان من ينتحر حقا هو وحده الذي اراد الانتحار ،وان الانتحار هو قتل متعمد للذات ؟غير ان هذا يعني بداية ،تعريف الانتحار بخاصية ،مهما كان جدواها واهميتها ،فسيؤخذ عليها على الاقل انه ليس من السهل التعرف عليها ،لانه ليس من السهل ملاحضتها ،كيف لنا ان نعرف الدافع الذي حمل الفاعل على القيام بهذا الفعل ،وما ان كان يريد الموت بالذات ،حين اتخذ قراره ،**او كان له هدف اخر ذلك ان النية هي شيء اشد صميمية من ان** نتمكن من الوصول اليها ومعرفتها من الخارج ،اللهم الا عبر تخمينات تقريبية ،فهي تتوارى حتى عن المراقبة الداخلية فكم من مرة اخطانا في معرفة الاسباب الحقيقة التي تحرك افعالنا ،فنحن نفسرها دائما بالانفعالات النبيلة او بالاعتبارات السامية للسلوك التي تلهمنا **عواطف مراهقة او روتينا اعمى.**[6]

- وقد يكون الفرد ضحية تفكيره وتسييره للازمات ،فمثلا عند العاطل عن العمل من ذوي العمل الماهر والاختصاص الدقيق ،اذ تشعر اناه الاجتماعية بانه غير صالح للعمل ، ا وان فرص العمل عنده معدومة فوصل الى باب مسدود ،ويعيش في نفق مظلم وان امنه مفقود ،وازاء هذه المشاعر السوداوية المطبوعة في أناه **الاجتماعية تستجيب ذاته الفردية المقهورة ،فيقدم على الانتحار ،وهناك** حالة الشيخوخة التي تمثل أصعب المشاكل التي توجه هذه الشريحة العمرية المتقدمة فيها التي يصعب فيها العثور على جماعته العمرية التي تعكس اهتماماته وهواياته وهمومه وعاداته ،ولا سيما اذا اولاده كبروا وغادروا منزله واستقروا بحياة العزوبية ،فيعيش عيشة منعزلة ومكتئبة ومريضة وعاجزة جسديا ،عندما تستجيب ذاته الفردية المقهورة ،فيقدم على الانتحار دون تفكير او استخدام عقله في تبصير الامور ،**وقد وجد ستانجيل 1964 بان معدلات الانتحار عند الشيوخ تقع بين عمري 55و64 ،وذلك بسبب شعورهم بانهم يعيشون بدون هدف وامل فيصابون بالياس والقنوط ،**

[6] اميل دوركايم ،مرجع سابق ،ص 08.

الاستنتاج النظري

يجب تحديد المشاعر والافكار التي تنتج عن الظروف الصعبة والتي تعيشها الانا الاجتماعية التي تظهر في شكل فقدان المانة الاجتماعية وفقدان العمل والشيخوخة والوحدة او العزلة ،والتي تكون على شكل اكتئاب مزمن وحزن دائم وشعور بالذنب المتصف بالدونية ،حيث لا يستطيع التخلص منه والقلق والاضراب النفسي والانعزال الاجتماعي ،يتولد عنده سلوك عدواني تجاه نفسه ،بحيث ينصب تفكيره فقط على كيفية التخلص من المازق الذي وقع فيه ،فلا يجد امامه سوى ايقاع العداء على ذاته ،من اجل لتخلص من المعاناة ،فتستجيب ذاته الفردية وهي مستسلمة لهذه الضغوط الاجتماعية التي تعيشها فيغتال نفسه اي ينتحر ،وهنا يعني ا نالانا الاجتماعية هي التي قامت بتحريض ذاته الفردية واوصلته الى التفكير بالانتحار ،والتخلص من ضغوطها ،فتكون الانا الاجتماعية هنا هي الجاني والذات الفردية هي التي استجابت مستسلمة للانا الاجتماعية فتحولت الى ضحية الانا الاجتماعية ،لذلك لا نستطيع القول عن الانتحار بانه جريمة بدون ضحية بل هناك ضحية وهناك جان انما كلاهما يقعان في شخص واحد .[7]

[7] معن خليل العمر، مرجع سابق ،ص ص 261-262..